خطبة صلاة الجمعة 20/ 11/ 2020 للشَّيخ الطَّبيب محمَّد خير الشَّعَّال, في جامع أنس بن مالك، دمشق – المالكي

(هدي رسول الله ﷺ في التعليم)

قال تعالى: ﴿وَمَا آتَاكُمُ الرَّسُولُ فَخُذُوهُ وَمَا نَهَاكُمْ عَنْهُ فَانْتَهُوا وَاتَّقُوا اللَّهَ إِنَّ اللَّهَ شَدِيدُ الْعِقَابِ﴾ [الحشر: 7].

وقال سبحانه: ﴿قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ﴾ [آل عمران: 31].

وَقالَ تعَالَى: ﴿وَإِنَّكَ لَتَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾ [الشورى:52].

أخرج الإمام مسلم في صحيحه عن جابر بن عبد الله رضي الله عنهما: «كان رسولُ الله صلى الله عليه وسلم إذا خطب يقول: «**أما بعدُ، فإن خيرَ الحديث كتابُ الله، وخيرُ الهدْي هدْيُ محمد، وشرُّ الأمورِ مُحْدَثاتُها، وكلُّ بدْعةٍ ضلالة**».

قال النووي في شرح مسلم: (قوله "خير الهدي هدي محمد" جاءت الرواية بوجهين؛ الأول: بفتح الهاء وإسكان الدال، ومعناه الطريقة، أي أحسن الطرق طريق محمد، يقال فلان حسن الهدي أي الطريقة والمذهب، والثاني: بضم الهاء وفتح الدال فيهما، ومعناه الدلالة والإرشاد).

وأخرج البخاري عن عبد الله بن مسعود رضي الله عنه قال: «إنَّ أحسنَ الحديثِ كِتَابُ اللهِ، وأحسنُ الهَدْيِ هَدْيُ محمَّدٍ ﷺ، وشَرُّ الأمُورِ مُحْدَثاتُها، وإنَّ ما تُوعدونَ لآتٍ، وما أنتُم بمعجزين».

قال ابن منظور: فُلَانٌ حَسَنُ الهَدْيِ هُوَ حُسْنُ الْمَذْهَبِ فِي أُموره كُلِّهَا، وأحسن الهدي هدي محمد أَي أَحسَنُ الطريقِ والهِداية وَالطَّرِيقَةِ وَالنَّحْوِ وَالْهَيْئَةِ، هدي رسول الله محمد صلى الله عليه وسلم.

أيها الإخوة:

هذه هي الخطبة السادسة في سلسلةِ خطب عنوانُها: **(هَدْيُ رسول الله صلى الله عليه وسلم)**.

جاءت السلسلة في شهر ربيع لنكثر من الصلاة والسلام على رسول الله صلى الله عليه وسلم ولنهتدي بهديه ونتأسى بسنته فننالَ الحظوة بشفاعته صلوات ربي وسلامه عليه.

واعلموا أن الكمال البشري معقود في رسول الله صلى الله عليه وسلم فمن اهتدى بهديه واستن بسنته وحذى حذوه صلى الله عليه وسلم سار في درب الكمال، وعكسه بعكسه.

تحدثت الخطبة الأولى عن هديه صلى الله عليه وسلم في العبادات الشعائرية، والثانية عن هديه صلى الله عليه وسلم في المعاملات المالية، والثالثة عن هديه صلى الله عليه وسلم في العلاقات الأسرية، والرابعة عن هديه صلى الله عليه وسلم في الشدائد والمحن، والخامسة عن هديه صلى الله عليه وسلم في مخالطة الناس، وعنوان خطبة اليوم: **هدي رسول الله صلى الله عليه وسلم في التعليم**.

أيها الإخوة:

أرسل الله تعالى رسوله الله صلى الله عليه وسلم معلما للخير وداعياً للبر ومزكياً للأنفس: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الْأُمِّيِّينَ رَسُولًا مِنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِنْ كَانُوا مِنْ قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ﴾ [الجمعة: 2].

روى الإمام مسلم عن جابر قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الله لم يبعثْني مُعْنِتاً ولا مُتعَنِّتاً ولكن بعثني مُعَلِّماً مُيَسِّراً**»، وروى أبو داود عن رَسُول اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قال: «**إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ بِمَنْزِلَةِ الْوَالِدِ أعلمكم**» وبه اقتدى صحابته الكرم: أخرج الحاكم في المستدرك كتب عمر إلى أهل الكوفة: أني بعثت إليكم عمار بن ياسر أميراً، وعبد الله بن مسعود معلماً ووزيراً، وهما من النجباء من أصحاب محمد صلى الله عليه وسلم من أهل بدر، فتعلموا منهما، واقتدوا بهما.

وأخرج البخاري عن الأَسْوَدِ بْنِ يَزِيدَ، قَالَ: أَتَانَا مُعَاذُ بْنُ جَبَلٍ بِالْيَمَنِ مُعَلِّمًا وَأَمِيرًا.

وهذه معالم خمس في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم:

أولا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصا على تعليم الجميع، الكبير والصغير، والرجل والمرأة، والحاضر والبادي:

هذا رجل غريب جاء يسأل عن دينه فترك صلى الله عليه وسلم خطبته ليعلمه ما سأل عنه، فقد روى الإمام مسلم عن أبي رفاعة رضي الله عنه قال: ((انتهيت إلى النبي صلى الله عليه وسلم وهو يخطب، قال: قلت: يا رسول الله رجل غريب جاء يسأل عن دينه، ولا يدري ما دينه؟ قال: فأقبل عليَّ رسول الله صلى الله عليه وسلم وترك خطبته حتى انتهى إليّ. فأُتي بكرسي، حسبت قوائمه حديداً، قال: فقعد عليه رسول الله صلى الله عليه وسلم. وجعل يعلمني مما علمه الله، ثم أتى خطبته، فأتم آخرها)) [مسلم].

وعن أم سلمة رضي الله عنها قالت: سمعت النبي صلى الله عليه وسلم ينهى عنها – أي الصلاة بعد العصر– ثم رأيته يصليها حين صلى العصر، ثم دخل عليّ وعندي نسوة من بني حرام من الأنصار،

فأرسلت إليه الجارية فقلت: قومي بجنبه، قولي له: ((تقول لك أم سلمة: يا رسول الله سمعتك تنهى عن هاتين، وأراك تصليها)) فإن أشار بيده فاستأخري عنه.

ففعلت الجارية، فأشار بيده، فاستأخرت عنه. فلما انصرف، قال: «**يا ابنة أمية سألت عن الركعتين بعد العصر وإنه أتاني أناس من عبد القيس، فشغلوني عن الركعتين اللتين بعد الظهر فهما هاتان**» [البخاري].

وعن عمر بن أبي سلمة رضي الله عنهما يقول: "كنت في حجر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت يدي تطيش في الصحفة فقال لي رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**يا غلام، سَمِّ الله وكل بيمينك وكُلْ مما يليك**» فما زالت طعمتي بعد [البخاري].

فها هو رسول الله صلى الله عليه وسلم حريص على تعليم الطفل والمرأة والغريب والقريب والكبير والصغير وهذا معلم من معالم هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم.

ثانياً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على التعليم في الأوقات جميعها، في عسره ويسره وفي حله وترحاله وفي ضيقه وسعته:

وحسبنا أن نذكر أنه صلى الله عليه وسلم يوم مات ولده إبراهيم الرضيع وانكسفت الشمس وتحدث الناس أن الشمس انكسفت لموت ابن رسول الله صلى الله عليه وسلم لم يترك صلى الله عليه وسلم الوقت يمر بل علَّم الناس أن الشمس والقمر لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته.

أخرج البخاري ومسلم عن المغيرة بن شعبة رضي الله عنه: قال: «انكسفت الشمس على عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم مات إبراهيم، فقال الناس: انكسفت لموت إبراهيم، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: «**إن الشمس والقمر آيتان من آيات الله، لا ينكسفان لموت أحد ولا لحياته، فإذا رأيتموهما فادعوا الله وصلوا حتى تنجلي**».

وفي رواية: «**فإذا رأيتم ذلك فادعوا الله وكبروا وصلوا وتصدقوا، ثم قال: يا أمة محمد، والله ما من أحد أغير من الله: أن يزني عبده، أو تزني أمته، يا أمة محمد، والله لو تعلمون ما أعلم لضحكتم قليلا، ولبكيتم كثيرا**» زاد في رواية: «**ألا هل بلغت**».

فرسول الله صلى الله عليه وسلم حريص على التعليم في الأوقات كلها.

ثالثاً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معلماً رحيماً رؤوفاً بالمتعلمين:

فعن معاوية بن الحكم السلمي قال: بينا أنا أصلي مع رسول الله صلى الله عليه وسلم إذ عطس رجل من القوم، فقلت: يرحمك الله؛ فرماني القوم بأبصارهم فقلت: واثكل أمياه ما شأنكم تنظرون إليّ لِلَّهِ فجعلوا يضربون بأيديهم على أفخاذهم، فلما رأيتهم يصمتونني لكني سكت. فلما صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم، فبأبي هو وأمي ما رأيت معلماً قبله ولا بعده أحسن تعليماً منه، فوالله ما كهرني، ولا ضربني ولا شتمني قال: **«إن هذه الصلاة لا يصلح فيها شيء من كلام الناس، إنما هو التسبيح والتكبير وقراءة القرآن»** [مسلم].

وعن أنس رضي الله عنه قال: بينما نحن في المسجد مع رسول الله صلى الله عليه وسلم، إذ جاء أعرابي، فقام يبول في المسجد، فقال أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم: ((مه مه)) قال: قال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«لا تزرموه، دعوه»** فتركوه حتى بال. ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم دعاه فقال له: **«إن هذه المساجد لا تصلح لشيء من هذا البول ولا القذر، إنما هي لذكر الله عز وجل والصلاة، وقراءة القرآن»** قال: «فأمر رجلاً من القوم، فجاء بدلو من ماء فشنه عليه».

رابعاً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معلما ينوع أساليبه ووسائله، فمن الحوار إلى القصة إلى المثل إلى الأمر والنهي، وهكذا ...

«أتدرون من المفلس...» «ما تعدون الصرعة فيكم» «أتدرون ما الغيبة!».

أخرج البخاري حديث عبد الله بن عمر رضي الله عنهما أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: **«إن من الشجر شجرة لا يسقط ورقها، وهي مَثَلُ المسلم، حَدِّثوني ما هي؟!»** فوقع الناس في شجر البادية، ووقع في نفسي أنها النخلة. قال عبد الله: فاستحييت. فقالوا: يا رسول الله أخبرنا بها. فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم: **«هي النخلة»**.

قال النبي عليه الصلاة والسلام: **«مثلي ومثل الأنبياء كرجل بنى داراً فأكملها وأحسنها إلا موضع لبنة، فجعل الناس يدخلونها، ويتعجبون، ويقولون: لولا موضع اللبنة»** [البخاري].

فذاك سؤال وهذا مثل وغيرهما قصة، وكلها أساليب للتعليم كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتنقل بينها ليحمل المتعلم على الفهم والعمل بالعلم.

خامساً: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراعي الفروق الفردية والتدرج في التعليم:

فيسأله رجل عن أفضل الإسلام فيقول له: تطعم الطعام، ويسأله آخر السؤالَ نفسَه أو نحوَه فيقول: الصلاة على وقتها، ويسأله ثالث فيقول: لا يزال لسانك رطبا بذكر الله تعالى، ويسأله رابع فيقول: من سلم المسلمون من لسانه ويده.

ويظهر أن ذلك مراعاةٌ لحال السائلين والفروق الفردية بينهم، والله أعلم.

وبعد أيها الإخوة:

هذه خمسة معالم في هدي النبي صلى الله عليه وسلم في التعليم:

أولا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على تعليم الجميع.

ثانيا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم حريصاً على التعليم في الأوقات جميعها.

ثالثا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معلماً رحيماً رؤوفاً بالمتعلمين.

رابعا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم معلماً ينوع أساليبه ووسائله.

خامسا: كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يراعي الفروق الفردية والتدرج في التعليم.

﴿إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ يَاأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا﴾ [الأحزاب: 56].

والحمد لله رب العالمين